

أدب الإجازات العلمية في الأندلس

د. خالد سليمان الخلفات*

تاريخ القبول: ٢٠٠٩/٤/٢٨

تاريخ تقديم البحث: ٢٠٠٨/٣/١٩

ملخص

يهدف هذا البحث إلى التعرف على مفهوم الإجازات العلمية عند العلماء المسلمين، وأركانها وأنواعها وشروطها، ومن بمنحها؟ ولمن تمنح، ثم التعرف على أصول نشأتها في علم الحديث ورواية الحديث النبوي الشريف، ثم كيفية انتقالها من هذا العلم إلى سائر العلوم الأخرى.

كما يتناول هذا البحث الأسس والقواعد التي وضعها العلماء المسلمون لهذه الإجازات في المشرق، وكيفية انتقال هذه الإجازات العلمية من المشرق إلى الأندلس، ثم كيف أصبحت فناً كتابياً مستقلاً، له ضوابط وقواعد وأصول، مثله مثل أي فن كتابي آخر، كفن الرسائل والخطبة وغيرها، ويعرض البحث أمثلة ونماذج لإجازات علمية في المشرق والأندلس، منحها العلماء لطلاب العلم.

Abstract

Literature of Permitted Licenses in Al- Andalus

This research aims to identify the Literature of Permitted Licenses concept related to Muslim Scholars, and its institutions, types and conditions. Also, it identified to whom it granted and who grants it. The paper identified the assets its inception in science and the modern novel Hadith Sharif, and then how transformed from this science to the rest of the other sciences. This study also addresses the foundations and rules formulated by the Muslim ulema of these Licenses in the East and how this transition of these Licenses from the Orient to the Andalusia, and then how become an independent art of writing, which has rule and regulation like any other art of writing such as – letters, sermons and others. This study presents examples and models for this type of licenses in the Orient and Andalusia awarded to students of literature

* قسم اللغة العربية، جامعة الطفيلة التقنية.
حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

مدخل:

تعددت طرق رواية العلوم المختلفة عند المسلمين ، التي بدأت برواية الحديث النبوي الشريف، وحدد العلماء في رواية الحديث ونقله ثمانى طرق هي: السماع من الشيخ والقراءة عليه والمناولة والكتابة والإجازة، والإعلام للطالب بأن هذه الكتب من مروياته، ووصية الشيخ بكتبه للطالب، والوجادة أي: وقوف الطالب على خط الراوي^(١). ومع انتشار العلوم الأخرى وطلب تحصيلها عند المسلمين، انتقلت الرواية وطرقها السابقة إلى هذه العلوم، وأصبحت من الطرق المتبعة في "تحصيل أغلب العلوم، خاصة ماله اعتماد على الرواية، كالعلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية"^(٢). وموضوع هذه الدراسة هو الإجازات العلمية، إحدى طرق الرواية المعروفة عند العرب في العصور الإسلامية، وتتركز هذه الدراسة على الإجازات العلمية عند العرب في الأندلس، مفهوماً وأركانها وأنواعها، وما طرأ عليها من تطوّر في الأندلس تحديداً، وكيف أصبحت هذه الإجازات فناً نثرياً مستقلاً، له أصوله وقواعده.

مفهوم الإجازة لغة واصطلاحاً

الإجازة لغة: الإجازة في اللغة مصدر للفعل أجاز، وهي تعني إعطاء الإذن، وأجاز له ذلك أي سوّعه له، واستجاز: أي طلب الإجازة، أي الإذن^(٣).

والإجازة في الاصطلاح: إذن وتسويغ، وعلى هذا نقول: أجزت له رواية كذا، كما نقول: أذنت له وسوّغت له. ويشير ابن الصلاح إلى أصل معنى الإجازة "فهو من جاز الماء الذي يسقاه المال من الماشية والحرث، يقال فيه: استجزت فلاناً فأجازني، إذا سقاك ماءً لأرضك أو ماشيتك، كذلك طالب العلم يسأل العالم أن يجيزه علمه فيجيزه إياه"^(٤). فالإجازة إذن : هي إذن ورخصة (تتضمن المادة العلمية الصادرة من أجلها يمنحها الشيخ لمن يبيح له رواية المادة المذكورة فيها عنه)^(٥)، أو هي إذن من الشيخ أو العالم يسمح لتلميذه برواية العلم عنه^(٦).

(١) انظر: القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عمرو بن يحيى (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م)، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية

وتقعيد الأسماح، تحقيق، السيد أحمد صقر، مكتبة التراث، القاهرة، ١٣٩٨هـ، ص ٦٨.

(٢) حسين، كريم عجيل، الحياة العلمية في مدينة بلنسية، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٦، ص ٣٠٨.

(٣) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي (ت ٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د. ت) مادة

جاز. وانظر كذلك: الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م)، القاموس المحيط، إعداد وتقديم محمد عبد

الرحمن مرعشلي، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ٢٠٠٣م (مادة جاز)

(٤) ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٢هـ/١٢٤٤م)، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، منشورات

دار الحكمة، دمشق، ١٩٧٢، ص ٧٣

(٥) فياض، عبد الله، الإجازات العلمية عند المسلمين، ط ١، بغداد ١٩٦٧، ص ٢١

(٦) انظر: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، الكفاية في علم الرواية، القاهرة، دار الكتب العلمية،

ط ١، (د. ت) ص ٤٦٦، والسيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، تدريب

الراوي في شرح تقريب النواوي، القاهرة، دار الكتب الحديث، (د. ت) ج ٢ ص ٤٢، والصالح، صبحي، علوم الحديث ومصطلحه،

دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢، ط ٤، ص ٩٥.

كيف بدأت الإجازة؟

بدأت الإجازات العلمية عند العرب بظهور علم الحديث النبوي وروايته، وظهور علم رجال الحديث، والأسس العلمية الدقيقة التي وضعها العلماء؛ لحفظ الحديث النبوي وروايته، والتثبت من صحته وتصنيفه، فارتبط نقل الحديث النبوي المروي عن الرسول عليه السلام بتسلسل الرواية حتى تصل إلى النبي الكريم. وقد كان علماء الحديث أول من استخدم مصطلح الإجازة في الأغراض العلمية، وهم أول من دون العلوم الدينية، وأكثر الناس اشتغالا بتحقيقه والتأكد من دقته. وهذا المنهج العلمي الدقيق في الرواية هو ما ميّز الحضارة العربية الإسلامية عن غيرها من الحضارات في عنايتهم بالعلوم الدينية، وقد انتقل هذا المنهج في الرواية والنقل إلى سائر العلوم الأخرى، فظهرت الإجازات العلمية في العلوم المختلفة.

لقد كانت هذه الدقة العلمية التي استند عليها علماء الحديث هي نفسها التي قامت عليها العلوم الأخرى، فانتقلت الإجازة الشرعية هذه لتكون إجازة علمية عامة، يمنحها العالم الشيخ لتلميذه أو لطلابه، وأصبح لهذه الإجازة أصول وقواعد في كتابتها كما سنرى.

أركان الإجازة العلمية:

حين ننظر في نماذج من الإجازات العلمية نجد أنها تتكون من أركان أربعة هي: (المجيز وهو الشيخ أو العالم الذي يمنح الإجازة ويأذن بها، والمجاز له: وهو التلميذ أو العالم الممنوحة له الإجازة، ومادة الإجازة: وهي الكتاب أو مادة الرواية الذي تكون فيه الإجازة، ولفظ الإجازة وعبارتها، وقد يكون هذا اللفظ مشافهة أو مكتوباً).

طرق الإجازة:

تتم الإجازة بطريقتين، الأولى: الإجازة الشفوية (الشفهية) وهي الأقدم، ويمنحها العالم أو الشيخ المجيز بعبارة أو لفظ، يذكره لتلميذه مشافهة دون كتابة، يأذن فيها له بالرواية^(١).

ويعد هذا النوع من الإجازة أوثق طرق الإجازة؛ لأنها تستلزم اللقاء المباشر بين المجيز والمجاز له^(٢)، وهذا ما دفع طلاب العلم في الأندلس إلى الارتحال في طلب العلم داخل الأندلس وخارجها؛ ليحصلوا على الإجازة من العلماء، وكان يقتضون فرصة الرحلة إلى الحج؛ ليلتقوا العلماء في مكة والمدينة والقاهرة ودمشق، وغيرها من الحواضر الإسلامية، للقاء العلماء والأخذ عنهم واستجازتهم، بل إن طلاب العلم خلال العصور التاريخية المتلاحقة في الأندلس، كانوا يرتحلون لغاية طلب العلم، والحصول على هذه الإجازات، التي تتطلب اللقاء المباشر بين الشيخ وتلميذه.

الثانية: الإجازات التحريرية (المكتوبة): وهي إجازة تكون بوضع إشارة أو توقيع أو عبارة مختصرة، يكتبها

(١) ومن أقدم هذه الإجازات الشفهية التي عثر عليها ما رواه بشر بن نهيك، أحد الذين رَوَوْا عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، الذي يقول: "كتب عن أبي هريرة كتاباً، فلما أردت أن أفارقه، قلت: يا أبا هريرة، إني كتبت عنك كتاباً، فأرويه عنك؟ قال: نعم. أروه عني" انظر: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) تقييد العلم، دمشق، ١٩٤٩، ص ١٠١.

(٢) انظر: الصباغ، محمد لطفي، الحديث النبوي (مصطلحاته، بلاغته، كنهه) بيروت، دمشق، المكتب الإسلامي، ١٩٨٦، ط ٥، ص ١٧٦.

الشيخ المجيز على ظهر الكتاب أو في صفحة العنوان أو نصاً مستقلاً، يصبح لطالب الإجازة الحق في أن يروي هذا الكتاب عن شيخه. ويتضح ذلك من خلال ما يرويه لسان الدين ابن الخطيب، الذي طلب إجازة من صفوان بن إدريس^(١) فقال: "فكتب لأي صفوان — بخطه الرائق بظهر المجموع ما نصته"^(٢). والمجموع هنا هو هذا الكتاب الذي أجزى به.

وقد تأخر استخدام الإجازات التحريرية مقارنة مع الإجازات الشفهية، وأقدم ما وصلنا منها يعود إلى القرن الثالث للهجري^(٣). وانتشر هذا النوع من الإجازات في الأندلس فيما بعد، فبالإضافة إلى الرحلة في طلب العلم والحصول على الإجازة الشفهية مباشرة، من هذا العالم أو ذاك، كان طلاب العلم يرسلون مع المرتحلين إلى المدن الأندلسية أو المرتحلين إلى المشرق طلباً واستدعاء، يطلبون فيه إجازة من هذا العالم أو ذاك، ويحمل المرتحل هذا الاستدعاء، ويحصل على الإجازة المطلوبة مكتوبة، ثم يعيدها إلى طالبها، وهكذا، حيث يصور هذا الطلب، مدى حرص الأندلسيين على طلب العلم، والنهوض به، والبحث عن كل الطرق للحصول عليه. ولأن هذه الظاهرة العلمية (أي الإجازات) كانت موجودة ومنتشرة في الأندلس، نجد الحديث عنها وعن طلبها من العلماء تدخل في الأدب الذي كتبه الأندلسيون، خاصة في رسالة التوايع والزوايع لابن شهيد^(٤)، فهو في المحاورات الواردة في رسالته، نجده ينهاها بطلب إجازة من هؤلاء، فيجيزونه، وتكرر العبارة المشهورة في الإجازة وهي "أذهب فقد أجزتك" أو أنت مجاز مثلاً. وطلب الإجازة هذا يصور إعجاب ابن شهيد بالمشاركة ورغبته في طلب العلم منهم.

وقد كانت الإجازة في العصور التاريخية الأولى مقتضبة ومختصرة، فلا تحتوي أحياناً على طرق الرواية، ولا أسماء الشيوخ الذين تلقى الشيخ المجيز علمه عنهم، كما أصبحت فيما بعد، ويعود سبب هذا الاختصار، إلى قلة الفراغ المتوفر على ظهر الكتاب أو صفحة العنوان، الذي كانت تكتب عليه الإجازة.^(٥)

أنواع الإجازات

تعددت أنواع الإجازات عند العلماء المسلمين التي وضعت في الأساس؛ لخدمة الحديث النبوي الشريف، وهذه

(١) هو أبو البحر صفوان بن إدريس هو أئبه أهل الأندلس في عصره، له كتاب زاد المسافر وهو كتاب في الأعلام الشعراء في عصره، عاش في عصر الموحدين في عهد الخليفة الموحي منصور بن عبد المؤمن، توفي سنة ٥٩٨ هـ. (انظر ترجمته في: المغرب ج ٢ ص ٢٦٠، معجم الأدباء ج ٢ ص ١٠١، الإحاطة ج ٣ ص ٢٦٦)

(٢) انظر: ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد السليمان (٧٧٦ هـ/١٣٧٤ م) الإحاطة في أخبار غرناطة، حققه ووضع مقدمته، محمد عبدالله عنان، ط ٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٤، ٢٢٨/١

(٣) من أقدم هذه الإجازات المكتوبة، ما قاله الإمام أبو الحسن محمد بن أبي الحسين بن الوزان، قال: ألقيت بخط أبي بكر أحمد بن خيثمة، صاحب التاريخ ما مثاله: "قد أجزت لأبي زكريا يحيى بن مسلمة، أن يروي عني ما أحب من كتاب التاريخ الذي سمعه مني أبو محمد القاسم بن الأصبغ، ومحمد بن عبد الأعلى، كما سمعه مني وأذنت له في ذلك، ولمن أحب من أصحابه، فإن أحب إن تكون الإجازة لأحد بعد هذا، فانا أجزت له ذلك بكتابي هذا، وكتب أحمد بن أبي خيثمة بيده في شوال من سنة ست وسبعين ومئتين. انظر: فياض، عبدالله: الإجازات العلمية عند المسلمين، ص ٢٣.

(٤) هو أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد، أديب أندلسي وشاعر وناقد وكاتب، يقول عنه ابن بسام: هو شيخ الحضرة العظمى وفتاها، وهو حامل لواء الشعر والبلاغة في عصره، وله رسالة التوايع والزوايع، توفي سنة ٤٢٦ هـ (انظر ترجمته في: جذوة المقتبس ص ١٢١، الذخيرة لابن بسام ق ١ ص ١٩١، بغية الملتبس ص ١٦٣)

(٥) انظر: فياض، الإجازات العلمية عند المسلمين، ص ٢٤.

الأنواع هي:

١- إجازة معين في معين: أي إن العالم هنا يجيز شخصاً معيناً أو أكثر في مادة معينة معروفة، إن كانت كتاباً أو مصنفاً، ويعد هذا النوع من الإجازات أعلى درجات الإجازة؛ لأن أركان الإجازة متوفرة فيها.^(١) ومن الأمثلة على هذه الإجازة، أن يقول المجيز لطالب الإجازة: أجزت لك الكتاب الفلاني أو المصنف الفلاني، أو مجموعة الكتب التي يذكرها.

ولهذا النوع من الإجازات صورتان: الأولى: أن تكون الإجازة مقترنة بالمناولة، كأن يدفع الشيخ لتلميذه أصل سماعه أو مؤلفه، ويجيزه في روايته. ومن أمثلة هذه الإجازة في الأندلس، ما ذكره الرعيني^(٢)، من أنه لقي شيخه أبا العباس أحمد بن محمد اللخمي (ت ٦٣٣هـ)^(٣)، وحضر مجالسه العلمية، وقرأ عليه بعض كتب الحديث، وناولها إياها، وأذن له في روايتها^(٤).

والثانية: أن تكون الإجازة مجردة عن المناولة، وهذه الصورة تعد أسلوباً من أساليب التقويم إذا كانت مسبقة بقراءة أو سماع، أي أن المجيز يطمئن على أن تلميذه، قد أتقن حفظ هذه الرواية أو هذا الكتاب^(٥). ونرى هنا حرص العلماء في منحهم للإجازات أن طالب الإجازة قد أتقن مادة الإجازة ويستحق روايتها عنه، بل نجد من العلماء في الأندلس من يتشدد في منح الإجازة فتراه يرفض إجازة مَنْ لم يصل إلى مرحلة منحه الإجازة. ومن ذلك أن أبا عمرو عثمان بن سعيد الداني^(٦)، المقرئ المشهور في الأندلس، رَفَضَ منح الإجازة في القراءات القرآنية السبع للعالم الأندلسي ربحانة^(٧)، وعندما رآها تتقن - بعد اختبارها - غير القراءات السبع المشهورة، يترجع عن رفضه السابق ويمنحها الإجازة^(٨).

(١) انظر: مقدمة ابن الصلاح، ص ٧٣، وانظر كذلك: أحمد محمد شاكر، الباحث الحثيث في شرح اختصار علوم الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٥١م، ص ١١٩.

(٢) هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن الفخار الرعيني، فقيه أندلسي، له برنامج سجل فيه ما قرأه من مؤلفات في مختلف العلوم واسماء مؤلفيها، والشيوخ الذين روى عنهم ومن أجازهم منهم، توفي سنة ٦٦٦هـ. (انظر ترجمته في: الذيل والتكملة ج ٥ ص ٣٢٣، برنامج شيوخ الرعيني: مقدمة المحقق).

(٣) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي عرفة اللخمي العزفي السبتي، فقيه مالكي أندلسي، لزم التدريس بجامع سبتة طول حياته، له نظم حسن وتآليف، توفي سنة ٦٣٣هـ (الأعلام للزركلي ج ١ ص ٢١٨).

(٤) انظر: برنامج شيوخ الرعيني، ص ٤٣.

(٥) العربي، يوسف بن علي بن إبراهيم: الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٤١٦هـ، ط ١، ص ١٧٩.

(٦) أبو عمرو الداني، هو عثمان بن سعيد الداني، يعرف بابن الصيرفي، مقرئ مشهور ومحدث مكثّر رحل إلى المشرق وطلب علم القراءات هناك، وعاد إلى الأندلس فتصدر بالقراءات فيها، مات في مدينة دانية في شرق الأندلس سنة ٤٤٤هـ. (انظر ترجمته في: جذوة المقتبس ترجمة رقم ٧٠٢ ص ٢٧٢، بغية الملتبس ترجمة رقم ١١٨٦).

(٧) ذكرها الضبي في بغية الملتبس في باب النساء ترجمة رقم ٥٩٥ وأشار إلى أنها قرأت بالمربية للقراءات كلها على المقرئ أبي عمرو، ثم قرأت عليه خارج السبع وأجازها. (انظر ص ٤٧٦).

(٨) ذكر الضبي أن أبا عمرو المقرئ أقرأ بالمربية مدة وكانت ربحانة تقرأ عليه القرآن بها، كانت تقعد خلف متر، فتقرأ ويشير لها بقضيب بيده إلى المواقف، فأكملت السبع عليه، وطالبته بالإجازة فامتنع، وقرأت عليه خارج السبع روايات، فقرأت عليه ذات يوم (وقالوا لا تنفروا في الحر) فقال لها: اكسري الحاء، فقالت: (وقالوا لا تنفروا في الحوار) فقال: أنا لا أجيز مثل هذا والله لا برحت أو أكتب لها. فكتب إجازتها في ذلك الموضع. انظر الخبر في: بغية الملتبس ترجمة رقم ١١٨٦ ص ٣٦١.

ومن صور هذه الإجازات في الأندلس أيضاً، ما رواه أبو القاسم البلوي (ت ٦٥٧هـ)^(١) قال: سمعت عن أحمد ابن مضاء اللخمي (ت ٥٩٢هـ)^(٢) في جماعة كبيرة "المشرق" أحد تصانيفه، بقراءة أبي محمد بن حوط الله^(٣) في إشبيلية، فلما فرغ من قراءته، استجازه لنفسه وللحاضرين، فأجاب إلى ذلك، وأجاز لنا^(٤).

٢- الإجازة المعينة في غير معين: وفي هذا النوع من الإجازات يُنكر المجاز لهم، ولا تعين مادة الإجازة، ولا تحدد، بل تترك مفتوحة، فينقص من هذا النوع من الإجازة ركن من أركانها، وهو مادة الإجازة، ومن أمثلة ذلك أن يقول الشيخ: "أجزت لك أو لكم جميع مسموعاتي أو جميع رواياتي" أو أي عبارة شبيهة بذلك^(٥).

ولهذا النوع من الإجازات ثلاث صور هي:

الصورة الأولى: أن يجيز الشيخ تلميذه بعد لقاء أو عدة لقاءات مباشرة بينهما، يكون الطالب -خلال هذه اللقاءات- قد أخذ عن شيوخه سماعاً أو قراءة بعضاً من مروياته أو مؤلفاته، وعندما يفترقان يطلب التلميذ من شيوخه إجازته بكل مروياته ومؤلفاته هذه، وحتى التي لم يسمعها منه أو لم يقرأها عليه، وهذه الصورة من الإجازة أقرب إلى النوع الأول من الإجازات التي ذكرناها آنفاً^(٦).

الصورة الثانية: أن يجيز الشيخ تلميذه دون أن يكون بينهما لقاء، وقد نشأ هذا الشكل من الإجازة؛ حرصاً من العلماء على نشر علمهم، وحرصاً من طلبة العلم على الاستكثار في الرواية، فإذا اشتهر عالم من العلماء بالحفظ والدراسة، فإن العلماء السابقين له يجيزون له رواية مؤلفاتهم ومروياتهم، بطلب منه أو بدون طلب، وذلك يعود إلى أن هؤلاء العلماء يخشون التعرض للموعيد الشديد الذي أعد لكاتم العلم؛ لأنهم يرون أن هذا العالم سيؤدي العلم الذي أجز به، كما كان المجيز يوديه^(٧).

والذين يلجأون إلى هذه الصورة من الإجازات هم طلبة العلم، الذين لديهم ظروف تمنعهم من الرحلة ولقاء الشيوخ، وهذا ما نراه عند هؤلاء الطلاب الأندلسيين، الذين لم يتمكنوا من الارتحال إلى المشرق لأسباب عديدة؛ ليحصلوا على الإجازات من العلماء، وقد كان الأسلوب المتبع عند طلاب العلم في الحصول على إجازات العلماء "أن يكتبوا استدعاء عاماً للإجازة، يحمله الراحلون في طلب العلم، ويعرضونه على من يلقونهم من العلماء، فيقوم العلماء بكتابة إجازتهم لكل من ورد اسمه في هذا الاستدعاء"^(٨).

(١) أبو القاسم البلوي الإشبيلي، ذكره المقرئ وروى له أربعة أبيات من الشعر (انظر: المقرئ: نفع الطبيب ج ٤ ص ٣٠٣).
(٢) هو أبو العباس أحمد بن مضاء فقيه محدث وقاضي الجماعة 'إمام في النحر، توفي بإشبيلية سنة ٥٩٢هـ (انظر ترجمته في: بغية الملتبس ترجمة رقم ٤٦٥).

(٣) هو أبو محمد عبدالله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن حوط الله الأنصاري عالم وفقيه وإمام في علم الحديث وأديب، وشاعر ولي القضاء في عدة مدن أندلسية ومغربية توفي سنة ٦١٢هـ (انظر ترجمته في: أدباء مالقة ص ٢٣٣، برنامج شيوخ الرعياني ص ٥٦-٥٨، التكملة ج ٢ ص ٨٨٣-٨٨٥، صلة الصلة ج ٣ ص ١٣٤-١٣٧، تاريخ قضاة الأندلس ص ١١٢، الإحاطة في أخبار غرناطة ج ٣ ص ٣١٧-٣١٩، شذرات الذهب ج ٥ ص ٥٠).

(٤) محمد بن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الأول، ق ١ ص ٢١٦-٢١٧.

(٥) انظر: فياض، الإجازات العلمية عند المسلمين ص ٣٢.

(٦) انظر: العريني، الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، ص ١٨٢.

(٧) انظر: المرجع السابق، ص ١٨٣.

(٨) المرجع السابق، ص ١٨٣.

الصورة الثالثة: الإجازة للأطفال، وهي من أقل الإجازات قيمة وأهمية؛ لأن الطفل غير مؤهل في هذه السن لتحمل ما أُجيز به، وهذه الإجازة تعطي الأطفال الحق بالرواية عن هؤلاء الشيوخ بالإجازة الممنوحة لهم. ويهدف العلماء من أخذ الإجازة لأبنائهم الصغار إلى ربطهم بالعلم، وتعلقهم به وتربيتهم على ذلك، وهي ظاهرة تصوّر حب المسلمين للعلم وبعثه في نفوس الصغار، فهم "باستجارتهم العلماء لأبنائهم لا يتصورون إلا أن يكون العلم من أولويات اهتمام الأبناء، بعد أن يكبروا، وهذا بدوره يؤدي إلى إشاعة التعليم والقضاء على الجهل"^(١) ومن الأمثلة على هذا النوع من الإجازات أن ابن الأبار^(٢) أخذ له والده الإجازة من بعضهم وهو طفل صغير، حيث كان يأخذه معه إلى حلقات العلماء^(٣).

٣. الإجازة العامة: أي الإجازة لغير معين، فلا يحدد الشيخ المجيز لا الشخص المجاز له، ولا المادة المجازة، كان يقول الشيخ: "أجرت للمسلمين أو أجرت لكل أحد أو أجرت لمن أدرك زماني" حيث تخلو هذه الإجازة من ركنين هما: المجاز له، ومادة الإجازة.^(٤) وقد أنكر الكثير من العلماء مثل هذه الإجازات لضعفها، لأنه لا ضابط لها، وبذلك تنقصد للقيمة العلمية التي وضعت الإجازة وشرعت لأجلها، وهي نقل العلم بسنده من جيل إلى جيل. ولكننا نجد الأندلسيين يطلبون هذا النوع من الإجازات ويمنحونها لمن طلبها، لأن مصلحتهم تقتضي نشر العلم ونقله من جيل إلى جيل، فأجازوا طلاب العلم إجازة عامة، ومن هؤلاء أبو مروان عبد الرحمن بن محمد بن قزمان القرطبي (ت ٥٦٤هـ)^(٥) الذي أعطى إجازة عامة لكل من عاصره في عمره في بلاد المسلمين^(٦). كما أعطى أبو جعفر أحمد بن مضاء للخصمي الإجازة العامة لكل من أراد الرواية عنه من طلاب العلم الموجودين في وقت هذه الإجازة وهو سنة (٥٩٢هـ)، فأذن لهم وأجازهم^(٧).

كما نجد أن الأندلسيين قد استفادوا من الإجازات العلمية العامة التي منحها علماء المشرق لكل من كان موجوداً في بلاد المسلمين في ذلك الوقت، ومن هذه الإجازات إجازة الحافظ السلفي^(٨) التي كتبها في رمضان سنة (٥٦٠هـ)، ومن الأندلسيين الذين رويوا بهذه الإجازة أبو علي عمر بن عبد المجيد الرندي^(٩).

(١) المرجع السابق، ص ١٨٦.

(٢) ابن الأبار، هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن الأبار القضاعي البلسي، مؤرخ وأديب مشهور، له ديوان شعر، خرج من بلنسية بعد استيلاء الفرنج عليها ورحل إلى تونس، واستقر فيها هو وأسرته، مات مقتولاً سنة ٦٥٨هـ (انظر ترجمته في المغرب، ج ٢ ص ٣٠٩، فوات الوفيات، ج ٢ ص ٢٨٣، الوافي بالوفيات، ج ٣ ص ٣٥٥).

(٣) ابن الأبار، التكملة ج ٢ ص ٨٨٩.

(٤) انظر: الإجازات العلمية عند المسلمين ص ٣٣ وكذلك: الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، ص ١٨٦.

(٥) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن قزمان، فقيه محدث، يقول الضبي عنه: أخبرني من أتق به أنه أجاز من كان موجوداً قبل وفاته من طلبة من العلم أهل الأندلس إجازة عامة، فأنا أحدث عنه بها، توفي هذا الفقيه سنة ٥٦٤هـ. (انظر ترجمته في: الصلة لابن بشكرال ترجمة رقم ٧٥٧، بغية الملتبس، ترجمة رقم ٩٨٩).

(٦) ابن الأبار، التكملة، ج ٢ ص ٥٨٧.

(٧) محمد بن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الأول، ق ١، ص ٢١٧.

(٨) الحافظ السلفي، أبو طاهر أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفة، ولد في أصبهان ونشأ فيها، رحل طالبا للعلم إلى العراق والحجاز والشام ومصر، ثم استقر في الإسكندرية، وتوفي فيها سنة ٥٧٦هـ. انظر ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان ج ١ ص ١٠٥-١٠٧، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢١ ص ٣٩-٥٠، والمقري، أزهار الرياض في أخبار عياض ج ٣ ص ١٦٧ وإحسان عباس، أخبار وتراجم أندلسية، ص ٥.

(٩) الرندي هو أبو علي عمر بن عبد المجيد الأزدي من مدينة مالقة، كان كاتباً وشاعراً، وكان معدوداً في الجلة من العلماء وموصوفاً بالذكاء والعلم برواية الحديث الشريف. توفي سنة (٦١٦هـ) انظر ترجمته في: الإحاطة في أخبار غرناطة ج ٤ ص ١٠٧-١٠٩، برنامج شيوخ الرعيني ص ٨٦-٨٨ صلة الصلة ج ٤ ص ٧٢-٧٥، أدباء مالقة ص ٣٤٣.

٤. الإجازة لمجهول غير معروف أو غير محدد أو الإجازة بمادة مجهولة: وفي هذه الإجازة لا يحدد المجيز شخصاً معيناً معروفاً، بل يذكر اسماً، ربما يتكرر في كل عصر وفي كل مكان فلا يعود محدداً، أو أن يذكر المجيز اسم كتاب هناك من يحمل الاسم نفسه، فلا تتضح مادة الإجازة^(١).

وقد عرف الأندلسيون معظم هذه الأنواع من الإجازات، وصوّر اهتمامهم بها مدى حرصهم على طلب العلم وروايته وحفظ أسانيد^(٢)، ونسبة الرواية إلى صاحبها؛ ليضمن هؤلاء العلماء انتقال العلم بطريقة علمية موثقة من جيل إلى جيل، بل نجد بعض العلماء من يشهد الآخرين على إجازة تصل إليه من هذا العالم أو ذاك^(٣).

كما اهتموا بالرحلة من أجل الحصول على العلم، ولقاء العلماء واستجارتهم، وخاصة حين يرتحلون إلى المشرق، أو يسمعون أن عالماً من المشرق قد دخل الأندلس، فيحرصون على لقائه وأخذ العلم عنه، وأخذ الإجازات الشفهية والمكتوبة منهم، بل إننا نجد من العلماء وطلاب العلم، من تحول الظروف دون ارتحاله إلى هذا العالم أو ذاك، لطلب العلم والحصول على الإجازات، فيكتبون الاستدعاءات ويرسلونها إلى العلماء مع المرتحلين، وربما يكون هذا الاستدعاء من طالب واحد، يطلب فيها إجازة له، أو يكون طلباً لإجازات عدد من الطلبة والعلماء، فيقوم هذا العالم الذي طلبت الإجازة منه بكتابة الإجازات لكل من طلبها.

وقد تفنن العلماء في كتابة إجازاتهم، وكان هناك اهتمام في اختيار الألفاظ والعبارات وزخرفتها، والاهتمام بالمقدمات المطولة لهذه الإجازات من مدح وثناء. ولهذه الإجازات قيمة كبيرة، فهي وثائق علمية دقيقة عن هذه الشخصية المجيزة والتلاميذ الذين يجيزهم، كما أن هذا العالم المجيز يذكر في الإجازة أسماء شيوخه وتواريخ وفياتهم ومصنفاتهم، كما تعد الإجازات هذه وسيلة لحفظ العلوم وأسانيدها جيلاً بعد جيل، وهي حلقة الوصل بين العلماء من عصر إلى عصر^(٤).

(١) من أمثلة ذلك أن يقول الشيخ أجزت لمحمد بن خالد الدمشقي، وفي العصر الذي عاش فيه هذا المجاز هناك أشخاص آخرون يحملون هذا الاسم والنسب، ثم لا يعين الشيخ المجاز له منهم ويحدده، أو أن يقول: "أجزت لفلان أن يروي عني كتاب السنن" وهو يروي مجموعة من كتب السنن المعروفة بذلك ثم لا يعين أي سنن منها، ويرى ابن الصلاح أن هذه الإجازة فاسدة لا فائدة لها. وفسادها يعود للجهل بالمجاز له، وعدم معرفته، والجهل بالمادة للمجازة وعدم تحديدها. (انظر: مقدمة ابن الصلاح ص ٧٣).

(٢) ظهرت في الأندلس ما يسمى بكتب البرامج مثل برنامج شيوخ الرعيني وهي كتب يسجل العالم فيها ما قرأه من مؤلفات في مختلف العلوم ويذكر فيها عنوان الكتاب ومؤلفه والشيخ الذي قرأ عليه وسنده... إلخ.

(انظر: الرعيني، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الإشبيلي (ت ٦٦٦هـ/١٢٦٧م)، برنامج شيوخ الرعيني، تحقيق إبراهيم شيوخ، دمشق، ١٩٦٢، مقدمة المحقق).

وقد ظهرت في الأندلس أيضاً كتب الفهارس التي لها اتصال بالرواية والإجازة، وطرق نقل العلوم، وتقوم فكرتها على ترتيب المؤلف لها حسب الكتب التي يأخذها صاحب الفهرسة عن شيوخ عصره، ويبين المؤلف الطرق التي حصل من خلالها على الرواية والعلم، والشيوخ الذين تتلمذ عليهم، مثل السماع والقراءة والمناولة والإجازة، ومن هذه الفهارس: فهرسة ابن خير الإشبيلي، (أبو محمد بن خير بن عمر بن خليفة (ت ٥٧٥هـ/١١٧٩م)، والعنوان الكامل للكتاب هو) فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف).

(٣) انظر: الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي (ت ٧٩٠هـ/١٣٨٨م)، الإفادات والإنشادات، تحقيق د. محمد أبو الأفيان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٨٣، ص ٩٦.

(٤) انظر: العربي: الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، ص ١٩٠ وانظر كذلك: الخلفات، خالد، الحركة الأدبية في مدينة مالقة الأندلسية في عصر الموحدين، رسالة دكتوراة، جامعة مؤتة ٢٠٠٥، ص ٢١١.

بل إننا نجد من هذه الإجازات المطولة في الأندلس ما كانت متداولة بين العلماء، كأنها كتب ومؤلفات، ومنها ما كان يتعرض للنقد والتعقيب والدراسة، وبيان ما فيها من أخطاء، فيما يتعلق بذكر الشيوخ وتواريخ وفياتهم، ومؤلفاتهم وأسانيدهم، وغير ذلك^(١). ومن هذه الإجازات التي تناولها العلماء في الأندلس بالنقد والدراسة، إجازة كتبها أبو علي عمر بن عبد المجيد الرندي (ت ٦١٦ هـ) لبعض تلاميذه، وقد اطلع عليها العالم والفقيه الأندلسي أبو محمد عبد الله بن الحسن القرطبي (ت ٦١١ هـ)^(٢)، الذي وجد فيها بعض الإبهام في أسانيدها، فتنبها بالنقد وتبين وجه الصواب، وأودع ذلك كله في كتاب سماه (المبدي لخطأ ابن الرندي)، وعندما اطلع الرندي على هذا الكتاب، ردَّ على ما ورد فيه من نقد وتحليل، وألف كتاباً سماه (الخبّي في أغاليط ابن القرطبي)^(٣).

وهذه الظاهرة تشير إلى مدى اهتمام العرب في الأندلس بفن الإجازات وأسلوب كتابتها، بل تجاوز هذا الاهتمام بالشكل والأسلوب إلى التركيز على محتوى هذه الإجازات، التي عدت تاريخاً وكتب تراجم؛ لاحتوائها على معلومات تاريخية عن العلماء وسير حياتهم وترجمات لهم.

وإذا كان المشرق هو الجهة التي يتوجه إليها العلماء لطلب الإجازة وأخذ العلم، فإننا نجد في المقابل من يتوجه إلى المغرب والأندلس؛ لطلب الإجازة منها، ومن ذلك هذا الاستدعاء الذي وصل من المشرق إلى العالم والأديب الأندلسي سليمان بن موسى الكلاعي (ت ٦٣٤ هـ)^(٤)، وقد ورد في هذا الاستدعاء عدد من طالبي الإجازة، وما يطلبون الإجازة فيه، ثم يختتم هذا الاستدعاء بتاريخ كتابته، وهو سنة ٦٣٠ هـ^(٥).

ويكتب الكلاعي إجازة لهؤلاء ويأذن لهم بالرواية والإجازة، فيقول في هذه الإجازة: "فأطلقت الإذن لجميعهم..... أن يحدثوا بكل ما اشتملت عليه روايتي، ونظمته عنايتي من مشهور الدوليين ومنثور الأجزاء المنقولة عن ثقة الراويين....."^(٦). ثم يورد الكلاعي في هذه الإجازة شيوخه، الذين روى عنهم، ثم يذكر تاريخ منح هذه الإجازة.

كما نجد أن علماء المغرب والأندلس يفتخرون، حينما تأتيتهم مثل هذه الاستجازات أو الاستدعاءات لطلب الإجازة من المشرق، ومما كتبه أحد علماء الأندلس لأحد التلاميذ في العراق، كما يبدو من نص الإجازة: "وبعد أن

(١) انظر: العريني: الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، ص ١٩٠.

(٢) هو أبو محمد عبدالله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبدالله الأنصاري المالقي، القرطبي الأصل، كان رئيس المحدثين وإمامهم، وكان واسع المعرفة مكتراً، ثقة عدلاً أميناً، وكان حسن الخلق محبباً إلى الناس نزيه النفس، وقوراً معظماً عند العامة والخاصة دينياً زاهداً ونحوياً ماهراً وأديباً، كان يدرس في جامع مالقة وله مصنفات وتآليف، توفي في مالقة سنة (٦١١ هـ). (انظر ترجمته في: أديب مالقة، ص ٢٣١، شذرات الذهب، ج ٥ ص ٤٨)

(٣) انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة ١٠٩/٤، وانظر كذلك: ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري، (ت ٧٠٣ هـ/١٣٠٢م)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، بقية السفر الرابع، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥، ص ٢٠٨.

(٤) هو أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي، بلنسي الأصل، كان عالماً وشيخاً من أكابر شيوخ الأندلس، حافظاً للحديث، وأديباً وشاعراً وخطيباً وقاضياً، عرف بالعدل والجلالة، وكان مع ذلك من أولي الحزم واليسالة والشهامة، يحضر الغزوات ويشارك بنفسه القتال، واستشهد في غزوة من هذه الغزوات سنة ٦٣٤ هـ. (انظر ترجمته في: الإحاطة، ٢٧٢-٢٥٤/٤، تحفة القاصد، ص ٢٠١، إعقاب الكتاب ص ٣٤٩، الحلة السريعة ج ٢ ص ١٠٧).

(٥) انظر الإحاطة، ج ٤ ص ٢٥٩.

(٦) الإحاطة، ج ٤ ص ٢٦٠.

وقفت على هذا الاستدعاء الذي طلعت من المطالع العراقية شمسهُ^(١).

وبفتخر هذا العالم أن هذه الإجازة قد طلبت من علماء المشرق، ومن العراق تحديداً. والمشرق في نظر أهل الأندلس هو مصدر العلم والأدب والثقافة. ويؤكد أن الأمر قد تغير. وأنّ للأندلس شخصيتها العلمية المستقلة، ففيها العلماء والفقهاء والأدباء، الذين تطلب رواية علومهم ومصنفاتهم، فيقول: "فيا عجباً للبحار كيف استمدت أوشالها، واستعدت لطلب المكاتب، وقد كان يجب أن تُقصد ويُمشى لها."^(٢)

وحين ندرس فن كتابة الإجازة في الأندلس نجد مدى تأثير العلماء الأندلسيين بالعلماء المشارقة في كتابتهم لهذه الإجازات، ولكننا نجدهم يطيلون في هذه الإجازات، بل نجدهم يجعلونها في مصنفات مستقلة طويلة، ثم نجدهم يطيلون في المقدمات وفي مدحهم لطالب الإجازة، ووصفهم طلب الاستدعاء، الذي تُطلب به الإجازة، ووصف ما فيه من جمال لغوي ودقة عبارة، ثم يحددون نوع الإجازة، ولمن تمنح، ثم يذكر المميز شيوخه، الذين تلقى العلم عنهم، وهي إشارة إلى أن طالب الإجازة ما أخطأ، حين طلب الإجازة من هذا العالم، فيأتي هذا العالم ليبين مكانته وقيمتة العلمية، من خلال ذكره لشيوخه، الذين تلقى العلم على أيديهم، وهذا ما نجده عند علمائنا في العصر الحديث، الذين يذكرون في سيرهم الذاتية أسماء أساتذتهم، الذين تلقوا عنهم العلم في مراحل نيلهم لدرجاتهم العلمية، ويذكرون من أشرف على رسائلهم العلمية، وهم يفتخرون بذلك. ثم يحدد المميز من المجاز لهم رواية هذا العلم المطلوب فيه الإجازة، ويحددون مادة الإجازة والألفاظ الشرعية، التي سيستخدمها المجاز له، وهكذا.

وحين ننظر في هذه النماذج من الإجازات التي بين أيدينا في الأندلس، نجد النصوص الكاملة منها تتكون من الأجزاء الآتية:

١. المقدمة: وهي تتكون من البسملة والتحميد والثناء، وربما تطول أو تقصر هذه المقدمة حسب الكاتب، فإن كانت قد كتبت على الكتاب المجاز نفسه، فغالباً ما تكون هذه المقدمة قصيرة موجزة، وكذلك الإجازة تكون موجزة أيضاً. ومثال ذلك هذه المقدمة لهذه الإجازة، التي كتبها صفوان بن إدريس للسان الدين بن الخطيب على ظهر المجموع الذي أجاز فيه، فقال: "الحمد لله مستحق الحمد"^(٣) وإن كتبت مستقلة فغالباً ما تكون هذه المقدمة طويلة. ومن ذلك هذه الإجازة المشهورة التي كتبها أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالله بن أحمد الإستنجي الحميري لأبي الوليد إسماعيل بن تير الأيادي، وقد اشتملت على مقدمة طويلة، يقول فيها مبرزاً قدرته على اختيار الألفاظ والعبارات، والتعبير عن قدرته البلاغية في وصفه لعبارات الاستدعاء: "ما هذه الأنوار اللالحة، والنوار الفايحة، إنني لأجد ريح الحكمة، ولا مفند، وأرد مورد النعمة ولا منكذ، أميسك دارين يُنهب، أم المنذل الرطب في الغرام الملهب، أم نَحَت أبواب الجنة ففاح نسيمها، وتوضحت أسباب المنة، فلاح وسيمها ... أجل خلق الإنسان من عَجَل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لنفهموا أسرار الحكم وتعاونوا، وإذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا، يعني مجالس الذكر، ومأنس النظر والفكر، ومطالع المناظرة ومواضع المحاضرة، فهذه بتلك....."^(٤).

(١) ابن خميس، أبو بكر محمد بن علي المالقي (ت ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م): أدباء مالقة المسمى مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار فيما احتوت عليه مالقة من الأعلام والرؤساء والأخبار وتقيد ما لهم من المناقب والآثار، حققه وقدم له د. صلاح جرار، دار البشير ومؤسسة الرسالة، عمان، ط ١، ١٩٩٩م، ص ١٧١.

(٢) ابن خميس: أدباء مالقة، ص ١٧١.

(٣) لسان الدين بن الخطيب: الاحاطة في أخبار غرناطة، ٢/ ٢٢٨.

(٤) المصدر نفسه ٢/ ٣١٩.

٢. الحديث عن الإجازة وهدفها وتاريخها، ويتحدث المجيز هنا عادة، عن قيمة العلم ومكانته، وضرورة التواضع فيه والاهتمام به، كما ورد ذلك في الكتاب الكريم وسنة المصطفى عليه السلام. وهنا نجد هذا المجيز يستشهد بالرسول عليه السلام الذي أمره الله أن يقرأ على أبي بن كعب، وليس عيباً أن يقرأ المرء على من هو دونه في العلم، وليس عيباً كذلك أن تطلب الإجازة من غيرك — كما يقول "قيا أيها المعلم الأوحى، والعالم الذي لا تنكر أمانته ولا تجحد، حومت على علم الملوك، ولزمت بحلم طريق الحكم المسلك، فلم تعد أمل الحكماء، ولم تعد إلا بعمل العلماء ... ولا غرو أن تقرأ على من هو دونك، وتستجيز الإجازة عن القوم العظام، يقصدونك، فهذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد أمره الله بأن يقرأ على أبي بن كعب، فهل في حي الخواطر الذكية من حي، فقال (رضي الله عنه، الله أمرك أن تقرأ عليّ، والعناية الربانية تنادي إليّ إليّ" (١).

٣. الحديث عن طالب الإجازة وصفاته وعلمه وأدبه، فيتوقف المجيز عند الصفات التي يتميز بها هذا التلميذ، كالتواضع والتأدب وعدم الغرور، وهذه هي صفات العلماء فلا يجتمع العلم والغرور، ولا بد من التأدب في طلب الإجازة، وفي هذه الإجازة يتحدث المجيز عن تواضع طالب الإجازة ومكانته في العلم، مستشهداً ببعض الأمثلة عن التواضع عند الصحابة والعلماء. يقول: "وإن لبست من التواضع شعاراً، ولبست عن الترفع تنبيهاً على السر المكتوم وإشعاراً، فهذه الثريا من العجايب، إذا ارتفعت في أعلى صعودها، وأسمى راياتها الخافقة وبنودها ...، فإذا همّت بالركوع، وشمّت في المغرب ريح الوقوع، كان لها من السموّ القذح المعلى، وعادت قرطاً تترين به الأذان وتتحلى هذه آثار التواضع منلوة السور، مجلوة الصور، وكان بعضهم إذا أعطى الصدقة، يعطيها ويده تحت يد السائل، وهكذا تفهم المسائل، فإنه لما سمع النبوة تقول: اليد العليا خير من اليد السفلى، أراد أن يؤثر المقام الأعلى، ولما أعطى أبو بكر (رضي الله عنه) ماله كله، أعطى عمر رضي الله عنه النصف من المال، لا احتياطاً على ماله، ولكن ليقف لأبي بكر في مقام القصور عن كماله، تفويضاً وتسليماً، وتنبيهاً لمن كان له قلب وتعليماً" (٢).

٤. الحديث عن وصول طلب الإجازة أو الاستدعاء من طالب الإجازة، وهنا نجد الإشارة إلى ما في هذا الاستدعاء من عبارات، تشير إلى تفنن طالب الإجازة في أساليبه البلاغية ومهاراته الكتابية، وفي هذه الإجازة للإستجي التي بين أيدينا، نجد المجيز يتوقف كثيراً أمام سحر البيان، وقدرة أبي الوليد على التعبير والاتقان في هذا النثر البديع، الذي يشبه الحريري أو بديع الزمان الهمذاني، في القدرة على القول والإبداع فيه، ويبدو أن استدعاء الإجازة اشتملت على النثر والنظم، فيتعجب المجيز من هذا النظم، وهذا الشعر الذي يصل إلى مرتبة المتنبّي أو أبي تمام، فيقول: "وإلى هذا وصل الله حفظك، وأجزل من الخيرات حظك، فإنه وصلتني الكرامة المباركة، الدالة على التفنن في العلوم والمشاركة، فبينما أن أتلو الإجازة، وأريق صدور البيان وإعجازه ألقى إليّ كتاب كريم، إنه من أبي الوليد، وإنه بسم الله الرحمن الرحيم، فحرت، ووقفت كأنني سحرت، وقلت ساحران تظاهرا معا، وأحدهما قائل، فكيف إذا اجتمعا ولم يكف أن بهرت بالحسن الخلوب، حتى أمرت أن أنظم على ذاك الأسلوب، وبالحري لذلك النثر البديع، الحريري أو البديع، ولذلك النظم العجيب، المتنبّي أو حبيب" (٣).

(١) لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ٣١٩/٢-٣٢٠.

(٢) المصدر نفسه ٣٢٠/٢-٣٢١.

(٣) المصدر نفسه ٣٢١/٢-٣٢٢.

ثم يتحدث عن محاسن طالب الإجازة، مازجاً في ذكرها بين الشعر والنثر، ويشير إلى طلبه المتمثل في الحصول على هذه الإجازة، فيقول: "وأما محاسن أبي الوليد، فيقصر عنها أبو تمام وابن الوليد... وكيف أعجب من إجرائك لهذه الجياد، وأياديك من إياد،... إنه بغير تمويه، رجع الحديث الأول إلى ما عليه المعول، سألتني أيها السيد الذي يجب إسعافه، أن أرغم أنف القلم حتى يجري رعاقه، وأن أكحل جفون الأوراق بمداد الأقلام، وأن أجمع الطروس والأمدة، بين إصباح وإظلام وأطرز بياض السوسن بخضرة الآس"^(١).

٥. ذكر صيغة الإجازة بعبارة معروفة واضحة متعارف عليها في الإجازات المكتوبة: وهنا يدون المجيز عبارات دالة على كيفية أخذ الرواية ونشرها للآخرين، وتكون هذه العبارات واضحة ومعروفة في الإجازات الشرعية، كما عرفت من خلال علوم الحديث، وفي هذه الإجازة التي بين أيدينا يقول المجيز: "نعم أجزت سيدي الفقيه الأجل الخطيب الأكرم العالم العلم، الأوحد الأكمل، الحسيب الأحفل الأطول أبا الوليد بن الفقيه الأجل المعظم الموقر المكرم المبارك الأظهر، المرحوم أبي زكريا يحيى بن سعيد بن قنري الأيادي القرموني"^(٢).

٦. تحديد من سيجيزهم بالإضافة إلى طالب الإجازة: يحدد المجيز من الذين سيجيزهم بالإضافة إلى طالب الإجازة نفسه، وفي الإجازة التي بين أيدينا، نجد المجيز يمنح إجازته لأبناء طالب الإجازة هذه، ويذكرهم بأسمائهم، ذاكراً صفاتهم وخصالهم الحميدة، وهذا تأكيد على الدقة العلمية عند العلماء المسلمين، وهم يمنحون إجازاتهم لمن يطلبها، مؤكدين حرصهم على نشر العلم، وتداوله بين العلماء، وليصل كذلك إلى الأجيال القادمة، فيقول: "وبنيه السادات النجباء المباركين، أبا القاسم أحمد، وأبا إسحاق إبراهيم وأبا الحسين"^(٣)، ثم يقول في وصفهم: "ونعمت الأغصان والشجرة، والأفنان والثمرة،..."^(٤).

ومن إجازة أخرى في الأندلس منحها علي بن موسى بن سعيد^(٥) صاحب كتاب المغرب في حلى المغرب للقاضي أبي الفضل أحمد بن أبي يعقوب التيفاشي يجيز له فيها رواية مصنفه (المغرب في حلى المغرب)، كما يجيز لفتاه جمال الدين محمد بن أبي بكر الفارسي رواية هذا المصنف، بل نجده يمنح هذين المجاز لهما روايته لمن شاء من الثقات.^(٦)

٧. ذكر مادة الإجازة وشكلها وطريقة نشرها والحديث بها للناس: فهو يجيز أبا الوليد وأبناء الثلاثة، جميع ما رواه قراءةً وسماعاً وإجازةً ومناولةً، من العلوم على اختلافها وتباين أصنافها، بأي وجه رواه الإستجي، وكذلك يجيزهم بجميع ما قاله، وما سيقوله من مسطور ومرسوم، ومن نثر وشعر، ثم يعدد هذه المواد التي أجازهم بها فيقول: "نعم أجزت سيدي الفقيه الأجل الخطيب الأكرم العالم العلم،... وبنيه السادات النجباء المباركين...

(١) لسان الدين بن الخطيب: الاحاطة في اخبار غرناطة ٢/٣٢٤-٣٢٥.

(٢) المصدر نفسه ٢/٣٢٥.

(٣) المصدر نفسه ٢/٣٢٥.

(٤) المصدر نفسه ٢/٣٢٥.

(٥) هو أبو الحسن نور الدين علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد، مؤرخ وأديب وشاعر، ولد في قلعة يحصب، أتم تأليف كتاب المغرب في حلى المغرب، ومن مؤلفاته كتاب الفلاح المعلى في التاريخ المحلى ورايات المبرزين، توفي سنة ٦٨٥هـ (انظر ترجمته في:

اختصار الفتح المعلى ص ١، المغرب ج ٢ ص ١٧)

(٦) انظر: المقرئ: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٣/٩٧

جميع ما رويته قراءة وسماعاً، وإجازة ومناولة من العلوم على اختلافها، وتباين أصنافها، بأي وجه رويته، وعلى أي وصف تقلدته ودريته، وكذلك أجزتهم جميع ما قلته، وأقوله، من مسطور ومرسوم، ومنثور ومنظوم، وتصرفت فيه من منقول ومفهوم، قصايد المسماة بالروحانيات، ومعشراي الحبيبات وما نظمته من الوتريات، وشرحي لشعر أبي الطيب المسمى، (بظهور الإعجاز بين الصدور والأعجاز)، وكتابي المسمى (شمس البيان في لمس البنان)....^(١)، ثم يذكر بقية كتبه التي يجيزها.

٨. تحديد الألفاظ والكلمات التي سيستخدمها المجاز لهم عند روايتهم هذه الإجازة. ومن الكلمات المتعارف عليها في الإجازات العلمية، وهي مأخوذة عن الإجازات الشرعية، أن يقول المجيز: (أنبأنا أو أخبرنا أو حدثنا وما شابهها من الكلمات).

وفي هذه الإجازة نجد أبا عبد الله الاستنجي، يحدد لهذا الفقيه ولبنيه الكلمات، التي سيستخدمونها عند الرواية عنه، يقول: "قليل الفقيه الأجل، وبنوه الأكرمون رضي الله عنهم (أنبأنا وأخبرنا وحدثنا)، أو ما شاعوا من ألفاظ الرواية، بعد تحري الشروط المرعية في الإجازات الشرعية"^(٢).

ونلاحظ هنا الدقة في اختيار الكلمات المناسبة لتكون ألفاظاً للإجازة، كما نجد هذا القاسم المشترك بين الإجازات الشرعية، التي كانت في أصلها خاصة برواية الحديث النبوي الشريف، وكيف قام العلماء المسلمون في المشرق والمغرب بنقل هذه الأسس، وهذه القواعد إلى الإجازات العلمية، التي تناولت ميادين العلم كافة.

٩. ذكر المجيز للشيوخ الذين تلقى العلم عنهم: يذكر هنا أسماء هؤلاء الشيوخ، وماذا أخذ عنهم من صنوف العلم، ويذكر صفاتهم ومكانتهم العلمية، ولذكر هؤلاء قيمة عظيمة، إذ يتبين من خلالها المكانة العلمية لهذا العالم ومنزلته بينهم، ثم هناك فائدة أخرى هي حفظ سلسلة العلماء في كل عصر، ومن أخذ عنهم، وعمن أخذوا عنهم. وفي الإجازة التي بين أيدينا يذكر المجيز شيوخه ومنهم^(٣): أبو جعفر أحمد بن يحيى ابن إبراهيم الحميري، والقاضي أبو محمد بن حوط الله وأبو علي عمر بن عبد المجيد الأزدي، وأبو علي الرندي وغيرهم.

١٠. خاتمة الإجازة التي تختتم عادة بالسلام والدعاء وذكر اسم المجيز وتاريخ كتابتها.

السمات الفنية للإجازات العلمية في الأندلس

أصبحت الإجازات العلمية المستقلة عن الكتب فناً نثرياً، له قواعده وسماته وأصوله، ويمكن أن ندرس السمات الآتية لهذا الفن:

أولاً: البدء والخاتمة: فقد اتخذت الإجازات العلمية في الأندلس نمطاً، يكاد يكون ثابتاً، رغم أن بعض الإجازات

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة ٣٢٥/٢-٣٢٦ ويلاحظ هنا هذه القيمة العظيمة لذكر هذه المؤلفات في مثل هذه الإجازات، التي نعرف من خلالها سلسلة مؤلفات هذا العالم أو ذاك، وفي هذا توثيق للمصنفات والمؤلفات، فهي فهرست موثق أو (ببليوغرافيا) لهذا الإنتاج العلمي يفيد الباحثين والمحققين، حين يرغبون في تحقيق هذا التراث.

(٢) المصدر نفسه ٣٢٦/٢.

(٣) أنظر: المصدر نفسه ٣٢٦/٢-٣٢٩.

العلمية التي بين أيدينا في الأندلس، لم تصلنا كاملة، إلا أننا نجد أن ما وصل إلينا كاملاً، يبدأ بالتحميد والثناء، فيكثر مانح الإجازة من التحميدات والثناء، والشكر لله على نعمة العلم، مظهرًا تواضعه العلمي، مبينًا أن مكانته العلمية لا توصله إلى مرحلة منح الإجازة، ولكن هؤلاء العلماء لا يتوانون ولا يترددون في تلبية الدعوة؛ لأن العالم لا يجوز له شرعاً كتم العلم، ومن الأمثلة على ذلك قول أبي بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن حبيش^(١) من إجازة منحها لأبي العباس الأشعري: "الحمد لله حق حمده، أحسن هذا الفاضل فيما صنع أحسن الله إليه، وبالغ فما جمع بلغ الله تعالى به أشرف المراتب لديه، غير أنني أقول واحده، ما سريرتي لها بجاحده، وأصرح بمقال، لا يسعني كتمه بحال: والله ما أنا للإجازة بأهل، ولا مرامها لدي بسهل، ..."^(٢).

أما في الإجازات التي كانت تكتب على ظهر الكتاب أو المصنف، فغالبًا ما تكون هذه الإجازة موجزة، ولا تتعدى الأسطر؛ لعدم وجود متسع في المكان للإطالة فيها، ولذلك فلا توجد مقدمة لها.

وخاتمة الإجازة، عادة ما يختتم المجيز إجازته بالدعاء، وذكر تاريخ منح الإجازة واسم المجيز، ثم الصلاة على الرسول عليه السلام، ومثال ذلك قول ابن حبيش: "والله سبحانه وتعالى ينفع بما أخلص له عند الاعتقاد، ويسمح للتبهرج عند الانتقاد، كتبه العبد المذنب محمد بن الحسن بن يوسف بن حبيش اللخمي، حامداً لله تعالى ومُصلياً على نبيه الكريم المصطفى وعلى آله أعلام الطهارة والهدى وسلماً تسليماً"^(٣).

ومن إجازة أخرى نجد هذه الخاتمة التي يذكر فيها المجيز تاريخ كتابة الإجازة: "وكتبه بخط يده الفانية العبد الفقير إلى الله، الغني به أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان، ختم الله تعالى له بخير، حامداً الله تعالى، ومُصلياً ومُسلماً على نبيه المصطفى الكريم، وعلى آله الطاهرين ذوي المنصب العظيم، وصحابته البررة أولي الأثره والتقديم، في سادس ربيع الآخر عام أربعة وأربعين وسبع مائة، وحسبنا الله ونعم الوكيل..."^(٤).

ثانياً: التقيد بالألفاظ المعروفة في الإجازات الشرعية التي وضعها العلماء، وساروا عليها، محددين طرق الرواية والنقل، مثل كلمة: حدثنا وأخبرنا وأنبأنا وما شابهها، ومن ذلك هذه الألفاظ التي يحددها أحد العلماء لمن أجازهم، فيقول: "فليقل الفقيه الأجل، وبنوه الأكرمون، رضي الله عنهم: (أنبأنا وأخبرنا وحدثنا)، أو ما شاءوا من ألفاظ الرواية، بعد تحري الشروط المرعية في الإجازات الشرعية"^(٥).

ثالثاً: الاقتباس والتضمين: تأثر كاتبو هذه الإجازات بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، في الاستشهاد بأهمية العلم وعدم البخل فيه، التي جاءت الإجازات هذه لتتويجاً لنقل العلم وتداوله وعدم كتمانها، وغالبًا ما كانوا يسترشدون بالقرآن الكريم في الحديث عن أخلاق العلماء وتواضعهم في طلب العلم ونشره. ومن أمثلة هذا الاقتباس من القرآن الكريم قول أحدهم في هذه الإجازة: "عجت متواضعاً، فما أبرمت في معاجك، ولا ظلمت في السؤال، نعجته إلى

(١) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن حبيش اللخمي، فقيه ومحدث وأديب أندلسي، كان من شيوخه ابن عسكر المالقي وقد جمع له أبو العباس الأشعري فهرسة جامعة. (انظر: نفح الطيب ج ٦ ص ٩٠-٩١)

(٢) المغربي، نفح الطيب ٩١/٦.

(٣) المغربي، نفح الطيب ٩١/٦.

(٤) المصدر نفسه ١٨٦/٨.

(٥) لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة ٢ / ٣٢٦.

نعاجك، فإنه سر الله، لا يحل فيه الإفشاء، وحكمة الله البالغة، والله يؤتي الحكمة من يشاء.^(١)

وفي الإجازة نفسها يقول المجيز — موظفا ما ورد على لسان بلقيس ملكة سبأ حين وصلها كتاب سليمان عليه السلام مع الهدهد —: "فبينما أن أتلو الإجازة، وأريق صدور البيان وإعجازه، ألقي إلى كتاب كريم، إنه من أبي الوليد، وإنه بسم الله الرحمن الرحيم"^(٢)

وأما من الحديث النبوي الشريف، فنجد أمثلة على الاستشهاد به في هذه الإجازات، منها: "فإنه لما سمع النبوة تقول: اليد العليا خير من اليد السفلى، أراد أن يؤثر المقام الأعلى"^(٣).

رابعاً: استخدام المحسنات البديعية من سجع وجناس وطباق، وكان ذلك على عادة كتاب الفنون النثرية الأخرى، ككتاب الرسائل والخطباء وغيرهم في الأندلس، ولكن تلك المحسنات البديعية لم تكن متكيفة، أو مقصودة، وجاءت مؤدية للغرض والمعنى الذي أراده الكاتب، ومن أمثلة ذلك قول أحدهم في هذه الإجازة، مستخدماً الكلمات المسجوعة، مثل كلمة استعطاف واستلطاف، والفاضل والمفاضل، ومنهم وعندهم، والباب واللباب، ونجد في هذه الكلمات شواهد على الجناس الناقص أيضاً: "وقد قال حكيمهم الفاضل، وعظيمهم الذي لا مناظر له ولا مفاضل، إذا خدمت الأمراء، فكن بين استلطاف واستعطاف، تجن المعارف والعوارف، دانية القطاف، فتعلمهم وكأنك تتعلم منهم، وترويههم وكأنك تروي عنهم، فأجريت الباب، وامتريت من العلم اللباب"^(٤).

ومن إجازة أحمد بن صفوان لابن الخطيب نجده يستخدم السجع، لكن دون تكلف أو قصد، كما يستخدم الطباق في التعبير عن المعاني التي يريد، التي تخدم أغراضه في هذا الموضوع، مثل استخدامه لكلمتي: نظمي ونثري، وإنشاء وارتجال، والمنثور والمنظوم، فيقول: "وأجزت له ولابنه عبد الله المذكور أباقهما الله تعالى في عزة الخلال، وعافية ممتدة الأفياء ورافة الظلال، رواية جميع ما تقيد في الأوراق المكتتب على ظهر أول ورقة منها من نظمي ونثري، وما توليت إنشاءه، واعتمد بالارتجال والرواية اختياره وانتقاءه، أيام عمري، وجميع مالي من تصنيف وتقيد، ومقطوعة وقصيد، وجميع ما أحمله عن أشياخي، رضي الله عنهم من العلوم..."^(٥).

ومن ذلك أيضاً، هذه الأمثلة من هذه الإجازة على الطباق والسجع، في كلمتي علم وعدم، ففيهما جناس ناقص، وقد ختمت بهما الجملتان، ووظفتا جيداً في التعبير عن المعنى المقصود، والمقارنة بين طالب الإجازة والمجيز، ووفق المجيز في التعبير عن صفة التواضع عنده أمام طالب هذه الإجازة، وقد جاء الجناس في هاتين الكلمتين مسبقاً بكلمتي القارئ والمقروء عليه، كما جاء السجع أيضاً في الفعلين جلب وطلب "وإن القارئ علم، ولكن المقروء عليه عدم، لقد شكرت لهذا السري ما جلب، وكتبت مسعفاً له بما طلب"^(٦).

خامساً: التنويع بين النظم والنثر في كتابة الإجازات العلمية: فنجد بعض المجيزين يراوحن بين النظم والنثر،

(١) المصدر نفسه ٢ / ٣٢٠

(٢) المصدر نفسه ٢ / ٣٢١

(٣) المصدر نفسه ٢ / ٣٢١

(٤) لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة.

(٥) المقرئ، نفح الطيب ٨ / ١٨٦-١٨٧.

(٦) المصدر نفسه ٦ / ٩١.

وخاصة عندما يكون طالب الإجازة في استدعائه يستخدم الشعر والنثر، فيقوم المجيز باستخدام الأسلوب نفسه في ذلك، ومن الأمثلة على ذلك إجازة أبي عبد الله الإستحجي، التي وظف فيها الشعر والنثر، للرد على الاستدعاء الذي وصله من طالب هذه الإجازة، فقال: "فإنه وصلني الكراسية المباركة، الدالة على التفنن في العلوم والمشاركة، فبينما أن أتلو الإجازة، وأريق صدور البيان وإعجازه ألقى إلى كتاب كريم، إنه من أبي الوليد، وإنه بسم الله الرحمن الرحيم، فحرت، ووقفت كأنني سحرت، وقلت ساحران تظاهرا معا، وأحدهما قاتلي، فكيف إذا اجتماعا.

فلو كان رمحاً واحداً لأتقيته ولكنّه رمح وثنان وثالث
ومن لعبت بشيئته المثاني فأحرى أن تطير به المثالث

وطار بي الشوق كل مطار، وقرأت سماء فكرتي سورة الانفطار...حتى أمرت أن أنظم على ذاك الأسلوب، وبالحري لذلك النثر البديع، الحريري أو البديع، ولذلك النظم العجيب، المتنبي أو حبيب^(١)

هذه أبرز السمات التي تميزت بها الإجازات العلمية في الأندلس، حيث نستنتج من هذا الفن، الذي نما وتطور في المشرق، وبدأ في علوم الحديث إلا أن العرب المسلمين، قد بلغوا منزلة عظيمة في العلم، ومنحوا أعلى الدرجات العلمية من خلال تاريخهم الطويل وحضارتهم العظيمة، وكيفية تداولهم للعلم وتقبيده، وكيفية حفظهم لحقوقهم العلمية، أو ما نسميه الآن بقوانين الملكية الفكرية، وحقوق المؤلفين وأرقام الإيداع في المكتبات الوطنية، وأسس التوثيق العلمي، المستخدم حالياً في نقل المعرفة العلمية وتداولها، وإذا كانت الجامعات العريقة والمؤسسات العلمية، تمنح الدرجات العلمية المختلفة، فإن العلماء المسلمين قد سبقوا هذه الجامعات في منحهم لهذه الدرجات العلمية المتخصصة، من خلال الإجازات العلمية هذه.

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة ٢/٣٢٤.